الفصل الثاني

١- الإضافة والترك والالتزام

٢- نعمة معبون فيها

٣- العدو الأول

٤- الشفاعة طوق النجاة

١- الإضافة والترك والالتزام

البحث في البدعة والسنة من البحوث المفصلة في أحكام الإسلام، ولا يُقطع فيه بادئ الرأي، بل لابد من نظر دقيق وإحكام تام في القواعد والتطبيق؛ لذا وجب علينا أن نبين أنواعاً أخرى من البدع – بعدما نبين البدعة الحقيقية- متعرفين على حجم كل منها الحقيقي، فكثيراً ما أدى التباس هذه الأمور إلى تناحر و تفرق، فاحتاج الأمر إلى حبس تمييز وحبس تقدير.

البدعة الإضافية:

وخلاصة ما ورد عن العلماء في تعريف البدعة الإضافية[١] أنها ما كان لها أصل في الشرع أو كانت سنة في الأصل ثم عرض لها وصف أو هيئة لم ترد عن الشرع

ومن أمثلة ذلك. الالتزام في العبادات المطلقة، فقد ورد الحث على الصيام المطلق وأنه يباعد بين المؤمن والنار مسعين خريفًا، فلو أن فردا أو جماعة ألزموا أنفسهم بصيام يوم محدد يجتمعون فيه على الإفطار معًا كل شهر -مثلاً- وذلك من باب تقريب المستويات فيما يتعلق بالتكوين والتربية والتنافس على الخير وتآلف القلوب فإن هذا يعد من البدع

١- انظر تعريف البدعة الإضافية

أ- أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام، ج١،ص٣٦٧.

ب- الموسوعة الفقهية الكويتية، ج٨،ص٣٢

ج- محمد عبد الله الخطيب ومحمد عبد الحليم حامد، نظرات في رسالة التعاليم، ص١٢٠

الإضافية، ولو أن أحدًا تعوَّد أن يتصدق كلّ شهر بقدر معين من المال في وقت محدد، يقصد بذلك وجه الله تعالى، كان هذا أيضًا من البدع الإضافية، وكذا لو تعود أحد صباح كل يوم ومساءه أن يدعو الله تبارك وتعالى بصيغة كهذه مثلاً: "اللهم فرح كربتي واجعلني عبدك من المقبولين وارزقني اتباع سنة نبيك ﷺ" كان من الالتزام في العبادات المطلقة وهذا يعد من البدع الإضافية

البدعة التركية

الترك فعل من الأفعال الداخلة تحت الاختيار، وعلى ذلك قد يكون طاعة وقد يكون معصية ما دام داخلاً تحت الاختيار، فإذا خرج الترك من حد الاختيار ولم يقصد الإنسان إليه فلا أثر له في ثواب ولا في عقاب

والبدعة كما تشمل الفعل المخالف للسنة تشمل الترك المخالف للسنة كذلك، فإن ترك المسلم المباحات تدينًا -أي. يعتقد أن ترك المباح من الدين- وذلك كترك بعض المأكولات زهدًا، أو ترك الزواج بضوابطه، أو كثرة السهر وترك النوم، فإنه يعترض هذه الطريقة أمران: الأول أنه يعتمد في مشروعيته على أصل أحاديث الزهد في الدنيا ومجاهدة النفس وما إلى ذلك والثاني إن فيه مخالفة لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1] وقول الرسول ﷺ " وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي" [رواه أحمد من الحديث ٢٢٣٧٦]

١- الآية ٨٧ من سورة المائدة

خلاف فقهي:

ونأتي هنا للحديث عن حكم البدعة الإضافية وهل هو داخل في البدع المنهي عنها في قوله ﷺ "كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"[رواه ابن ماجة، من الحديث ٤٢] أم لا؟

ويظهر من كلام العلماء أنهم مختلفون في هذه المسألة فهي إذن من المسائل الفقهية الخلافية، ولكل قائل رأيه وحجته وبرهانه فيما ذهب إليه. أما القائلون بدخول هذه البدعة الإضافية في مسمى البدع المنهي عنها، فمستندهم عدم ورود نص تفصيلي يدل على أن هذه الأمور من العادات، فهم يشترطون لمشروعية العمل ورود النص عليه إجمالاً وتفصيلاً ومن ذهب إلى هذا الإمام أبو إسحاق الشاطبي[1] ومن تبعه

وطائفة أخرى ذهبت إلى أن البدعة الإضافية لا تدخل في البدع المنهي عنها وتسميتها هذا الاسم هو تنزّلٌ من باب الاصطلاح، أو من باب البدعة اللغوية، فطالما أن الأمر قد ورد فيه نص بمشروعيته فهذا أصل يعتمد عليه في مشروعية هذا العمل قال الإمام ابن رجب الحنبلي: "المراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدع شرعًا وإن كان بدعة لغة"[2]

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: "المحدثات: ما أحدث وليس له أصل في الشرع ويسمى في عرف الشرع بدعة، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة"[3] وقد ذهب إلى هذا القول جماهير العلماء[1]

١- وانظر في هذا أبو إسحاق الشاطبي، الاعتصام، ج١، ص ٣٦٧.

٢- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ص ٣٩٨

٣- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١٣، ص٢٦٧

ويدل على ما ذهب إليه جماهير العلماء ما رواه جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله ﷺ. "مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ"[رواه مسلم، من الحديث ١٦٩١] قال الإمام النووي "فيه الحث على الابتداء بالخيرات وسن السنن الحسنات والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات" وفي هذا الحديث تحقيق قوله صلى الله عليه وسلم: " كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ"[رواه أحمد، من الحديث ١٦٥٢٦]. وأن المراد بالمحدثات الباطلة والبدع المذمومة"[٢]، فالحسنة هي التي توافق أصول الشرع وهي وإن كانت محدثة باعتبار الهيئة والكيفية فهي مشروعة باعتبار نوعها لدخولها في قاعدة شرعية أو عموم آية أو حديث، ولهذا سميت حسنة وكان أجرها يجري على من سنها بعد وفاته، والسيئة هي التي تخالف قواعد الشرع وهي المذمومة والبدعة الضلالة"[٣]

خلاصة القول. في هذه المسألة أن "البدعة الإضافية، والتزكية، والالتزام في العادات مطلقًا خلافٌ فقهيٌّ لكل فيه رأيه ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان"[٤]

١- انظر عبد الله الصديق العماري، إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة، ص١٤، وقال "ولم يشذ عن هذا الاتفاق إلا الشاطبي صاحب الاعتصام".

٢- يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، ج١٦،ص (٢٢٦-٢٢٧)

٣- انظر عبد الله الصديق العماري، إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة، ص١٦

٤- مجموعة الرسائل، رسالة التعاليم، ص٣٥٨، الأصل الـ١٢

فلتعاون فيما اتفقنا عليه من المختلف فيه من أوجه الخير، وليعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، ولا ينكر بعضنا على بعض في المختلف فيه

*****

٣- نعمة مغبون فيها

حقاً لا يُقدّر قيمة الصحة مثل من فقدوها، فهذه الصحة التي تمرح في بعمائها وترتع في ربوعها حين تسرى في أبداننا والتي تمنحنا القدرة على إنجاز واجباتنا والقيام بوظيفة الخلافة في الأرض من إصلاح وتعمير وهداية والتي هنا أيضًا نستمتع بطيبات الحياة هي نعمة عظيمة من الله فعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ"[رواه البخاري، الحديث ٥٩٣٣]. ففي هذا الحديث توجيه واضح لأهمية الصحة وبيان قدرها وتنبيه لغفلة الكثير من الناس عن أداء حقها وتقاعسهم في الحرص عليها وحسن استثمارها، إما جهلاً بقيمتها أو تكاسلاً عن رعايتها وحفظها

تداووا يا عباد الله:

إن الإسلام لم يقف عند حد النصح والإرشاد لهذه النعمة بل تعداه إلى أن جعل رعايتها وحفظها حقًا من حقوق هذه الأبدان عليها، فعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ "فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا" [رواه البخاري، من الحديث ٤٨٠٠] فاعتبرنا الإسلام مسئولين ومستأمنين على هذه النعمة وشرع لنا ما يعيننا على الوفاء بهذه الأمانة، فعن أسامة بن

شريك قال قالت الأعراب يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا نَتَدَاوَى قَالَ نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً أَوْ قَالَ دَوَاءً إِلا دَاءً وَاحِدًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ قَالَ الْهَرَمُ" [رواه الترمذي، الحديث ١٩٦١]

الوقايـــة خير

وكما اعتنى الإسلام بسلامة بدنه ليحيوا موفوري الصحة، صحيحي الأبدان قادرين على أداء ما يناط بهم من أعمال ومهام وواجبات اعتنى كذلك بمحاربة الأمراض ووأدها في مهدها بما شرع من أسباب الوقاية، وفيما سن من قواعد النظافة والحماية للمسلم في جسمه بالوضوء والغسل والسواك، وفي بيئته بالحث على التنظيف والتطهير، فعن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال: "نَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ" [رواه الترمذي، الحديث ٢٧٢٣] وكذلك بإيجابه لقضاء الحاجة في أماكن معزولة حتى تذهب الفضلات في مستقر سحيق فلا يتلوث بها ماء ولا يتنجس بها مجلس ولا طريق[١]، فعن معاذ قال، قال رسول الله ﷺ: "اتَّقُوا الْمَلاعِنَ الثَّلاثَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَالظِّلِّ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ" [رواه ابن ماجة، الحديث ٣٢٣].

وكذلك نرى أن الإسلام قد وضع قواعد الحجر الصحي، فإذا ظهر مرض معدٍ في بلد ما ضرب حوله حصاراً شديداً فمنع الدخول فيه أو الخروج منه، وذلك حتى تحكمت رقعة الداء في أضيق نطاق فقد قال رسول الله ﷺ "إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلا تَدْخُلُوهَا وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا مِنْهَا" [رواه البخاري، الحديث ٥٢٨٧].

١- السابق ص ١٥٨- ١٦

ذرائع الشرك

أرسل الله تبارك وتعالى خاتم المرسلين محمدًا ﷺ لتوحيده سبحانه، والإيمان به، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[1]، أي ذلك الدين المستقيم الموصل إلى جنات النعيم أما ما سواه من الكفر والإشراك فطرق موصلة إلى الجحيم، وهذا أصل ومنهج قرآني عظيم، وهو التركيز على حفظ العقيدة صافية نقية خالية من الشركيات والبدع والتوائف، وإغلاق الباب أمام الذرائع المكدِّرة لصفوها

الذرائع وعلاقتها بأحكام المقاصد.

الذريعة هي الوسيلة المفضية إلى الشيء، أو هي: ما يُتوصل به إلى الشيء، والذريعة كما تكون إلى المفاسد المحرمة تكون إلى المصالح أيضًا، فالسفر وسيلة الحج والسفر من الوسائل والحج من المقاصد فتأخذ الوسيلة ها أو الذريعة حكم المقصد (وهو الحج)، والعبرة في الحكم ها بالمآل[2] لا بالحال، فقد يكون حكم الوسيلة في حد ذاته مباحًا لكن لأنه قد يؤدى إلى محرم (وهو المآل) فيأخذ حكمه كما قال الله تعالى ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3] فسبُّ ما عُبِدَ من دون الله مباح أو مستحب في حد ذاته، لكنه ها أدى إلى الاعتداء بسبِّ الله

١- الآيه ٥ من سوره البية

٢- المآل النتيجه النهائية

٣- من الايه ١٠٨ من سورة الأنعام

فحَرُمَ لأجله وهذا هو ما يسمى بسدِّ الذرائع، أي منع الوسائل المفضية إلى ما هو محرم أو مكروه وهي قاعدة من قواعد الشرع الحكيم ولها شواهد كثيرة تدل عليها.

نداء الموتى

ومن الذرائع المؤدية إلى الشرك بنداء الموتى والاستعانة بالمقبورين[1] بأن يقول الداعي مثلاً. "يا حسين اررقني" أو "يا بدوى اشف مريضي" أو "يا دسوقي اقض حاجتي" فكل هذا لا يجوز في شرع الله، لأنه استعانة بغير الله، قال الله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2]، وقال تعالى ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾[4] وقال ﷺ "إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ"[رواه الترمذي، من الحديث ٢٤٤][5]

ونداء الموتى والمقبورين منافٍ لخلوص القلب لله، وهذا بخلاف التوسل بالموتى الصالحين إلى الله، وهو بأن يقول الداعي: يا رب أسألك بحق جاه نبيك ﷺ أو أسألك بالصالحين من عبادك أو ما شابه ذلك، فهذا دعاء لله

١- ونداء الموتى والاستعانة بالمقبورين فعل محرم في حد ذاته، ولكنه ليس شركًا وإنما قد يؤدى إلى الشرك

٢- الآية ٥ من سوره الفاتحة

٣- الآية ١٠٦ من سورة يونس

٤- الآيه ٥ من سوره الأحقاف

٥- قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم و الحكم (ص ٢٤٠) " والطريق التي خرجها الترمذي حسنة جيدة"

وتوجه إليه سبحانه بالطلب، وهذه الكيفية مختلف فيها والجماهير العظمى من العلماء على جوازها

النذر لغير الله

فهناك أعمال لا يجوز فعلها إلا لله جل في علاه ومنها. "النذر"وهو. إيجاب الفعل المشروع على النفس بالقول تعظيماً لله تعالى، قال تعالى **﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾**[1] وقال تعالى. **﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾**[2] فهي من العبادات الشرعية[3]، والقاعدة أن العبادات يحرم صرفها لغير الله تعالى، فلا يجوز مثلاً أن يقال. إن شُفي مريضي لأتصدّقن للحسين أو ما شابه ذلك، وكذا لا يجوز الذبح لغير الله فهو من العبادات، قال تعالى. **﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ﴾**[4] وقال تعالى. **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾**[5] وقال ﷺ. "**لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ**" [رواه مسلم، من الحديث٣٦٥٨] ولهذا قال العلماء. لا يجوز النذر للقبور، فإنه معصية لا يجوز الوفاء به بالاتفاق، ولا أن يوقف عليه شيء لأجل ذلك، فإن هذا الوقف لا يصح إنشاته ولا تمبيده[6].

١- من الآية ٧ من سورة الإنسان

٢- من الآية ٢٧٠ من سورة البقرة

٣- محمد رواس قلعه جي، معجم لغة الفقهاء، ص٤٧٧

٤- الآيتان ١٦٢،١٦٣ من سورة الأنعام

٥- الآية ٢ من سورة الكوثر

٦- انظر الشيخ على مخطوط، الإبداع في مضار الابتداع

تعظيم لغير الله

ويتمثل في الحلف بغير الله، والحلف في اصطلاح علماء الشريعة "توكيد حكم بذكر مُعظَّم على وجه مخصوص"[1]، وهذا الذكر المعظَّم لا يكون إلا بالله وأسمائه وصفاته، قال العلماء والسر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده

ولهذا قرر للعلماء أن الحلف بغير الله لا يجوز كأن يقول وحياة الأب أو الأم أو ما شابه ذلك، وهل المنع هنا للتحريم ؟ قولان عند المالكية، والمشهور عندهم الكراهة، والخلاف أيضًا عند الحنابلة لكن المشهور عندهم التحريم، وبه جزم الظاهرية، وقال ابن عبد البر لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع، ومراده بنفي الجواز الكراهة أعم من التحريم والتنزيه، والخلاف موجود عند الشافعية وجمهورهم على أنه للتنزيه [2]

ويدل على عدم الجواز قول رسول الله ﷺ: "**أَلا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**"[رواه البخاري، من الحديث ٦١٥٥] وفي رواية: فقال عمر فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنها ذاكراً ولا آثراً

١- الموسوعة الفقهية الكويتية مصطلح (حلف)

٢- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١١ ص ٥٤

اتخاذ القبور مساجد

وهذا النهي متعلق بالقبور ومنها "اتخاذ القبور مساجد" أي السجود لها على وجه تعظيمها وعبادتها كما يسجد المشركون للأصنام والأوثان وهو شرك صريح، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: "لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" قَالَتْ وَلَوْلا ذَلِكَ لأُبْرِزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا" [رواه البخاري، الحديث ١٢٤٤]. قال القاضي عياض شدد في النهي عن ذلك خوف أن يتباهى في تعظيمه ويخرج عن حد المرة (أي البر) إلى حد الكبر، فيعبد من دون الله ﷻ، ولذا قال النبي ﷺ: "اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"[رواه مالك في الموطأ، الحديث ٣٧٠]؛ لأن هذا الفعل كان أصل عبادة الأوثان، ولذا لما كثر المسلمون في عهد عثمان واحتيج إلى الزيادة في المسجد وامتدت الزيادة حتى أدخلت فيه بيوت أزواجه ﷺ أدير على القبر المشرف حائط مرتفع؛ كي لا يظهر القبر في المسجد فيصلي إليه العوام فيقعوا في اتخاذ قبره مسجداً، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وصرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من جهة الشمال، حتى لا يمكن استقبال القبر في الصلاة [١].

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ"[رواه الترمذي، الحديث ٣٢٠]، والسُرج هنا جمع سراج، والمقصود باتخاذ السراج هنا إيقادها وإضاءتها وهو

١- القاضي عياض اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص ٣٢١

منهي عنه نص الحديث حوفاً من تعظيم المقبور أو لما فيه من تضييع مال بلا نفع، ومثل إيقاد السرج وإضاءتها ستر القبور والتمسح بها، وغير ذلك من المبتدعات فهي من الذرائع المؤدية إلى الشرك

تغيير النفوس.

يقول العلماء. "إن الناس يعيشون في أكواخ من عقائدهم فلا تهدموا عليهم أكواخهم، ولكن اسوا لهم قصراً من العقيدة السمحة، عندئذ سيهدمون أكواخهم بأيديهم"[1] وهذا هو المنهج القرآني في تغيير ما في الناس من انحرافات عقدية أو عبادية أو أخلاقية، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2]. وقد مكث رسول الله ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاماً، يصلي في المسجد الحرام وفيه ثلاثمائة وستون صنماً وكان يسكن في دار الأرقم على الصفا، وعلى الصفا صنم اسمه "إساف" وعلى المروة صنم آخر اسمه "نائلة" ولم يرد عنه ﷺ أنه كسر صنماً واحداً من هذه الأصنام ولا غيَّر شيئاً من هذه الشركيات، وإنما دعا إلى توحيد القلب لله والإخلاص له سبحانه، فلما صفت هذه القلوب من هذه الشركيات كسَّر الأصنام الطاهرة في فتح مكة بعد كسر الأصنام الباطنة في القلوب وبنى فيها قصر التوحيد، وهكذا يسعى على دعاة اليوم تجاه بعض الأمور المنهي عنها والتي قد تكون سبباً في الشرك بالله أن يغيروا ما في نفوس الناس بناء لبنة التوحيد والعقيدة السمحة، وشيئاً فشيئاً سيزول ويضمحل ما تَحَدَّر في

١- من مقال للأستاذ حسن البنا، جريدة الإخوان المسلمون الأسبوعية، بعني العقائد الباطلة والعادات السيئة

٢- من الآية ١١ من سورة الرعد

النفوس من باطل وانحراف، والأمر يحتاج إلى صبر ونَفَس طويل. ﴿واصْبِرْ وما صَبْرُكَ إلا بالله﴾[1].

زيارة مأثورة:

ولا يجعلنا الحذر من الوقوع في بعض الأمور المنهي عنها والخاصة بالقبور أن نعمل عن سُنة مأثورة عن النبي ﷺ ألا وهي وزيارة القبور بالضوابط الشرعية. روى بريدة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُرَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ" [رواه مسلم، الحديث ١٥٦٠] وقد زار الرسول ﷺ قبر أمه، وقال: "اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي" [رواه مسلم، الحديث ١٦٢١]

وعن نافع أن ابن عمر كان لا يمر بقبر أحد إلا وسلم عليه. وفي صحيح مسلم عن بريدة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى عَلَى الْمَقَابِرِ مَقَالَ السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاحِقُونَ أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ لَنَا وَلَكُمْ" [رواه النسائي، الحديث ٢٠١٨] وفي سنن ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها فقدت النبي ﷺ فإذا هو بالبقيع فقال "السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ وَإِنَّا بِكُمْ لاحِقُونَ اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ وَلا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ" [رواه ابن ماجة، الحديث ١٥٣٥]

وعن أبي أمامة قال: رأيت أنس بن مالك، أتى قبر النبي ﷺ فوقف، فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة، فسلم على النبي ﷺ، ثم انصرف.

١- من الآية ١٢٨ من سورة النحل

ولا شك أن زيارة القبور بالطريقة المأثورة تُذكر بالموت وانقطاع هذه الحياة، وانقضاء إلف اللذات والشهوات، وتفكر فيما يصير إليه من ضيق اللحود وصولة الدود، وهو لا يدري ما يؤول إليه من شدة الحساب، وصعوبة الجواب، ولا شك أن في هذا إحساناً إلى الميت بالسلام عليه، والدعاء له بالرحمة والمغفرة وسؤال العافية

ويمكن أن نخلص مما سبق بقاعدة "**وزيارة القبور أيًا كانت سُنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيًا كانوا، وبدائهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم- عن قرب أو بعد- والنذر لهم، وتشييد القبور، وستورها، وإضاءتها، والتمسح بها، والحلف بغير الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات كثائر تحت محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سدًا للذريعة**"[1]

*****

١- الإمام حسن البنا، رسالة التعاليم، ص٣

عفيف متعفف

العفاف والعفة والتعفف كلمات جميلات تدل على خلق عظيم ونفس كريمة تأبى أن تهبط إلى ما لا يحمل من الأقوال والأفعال حتى لو تيسرت لها الأسباب والوسائل لتعلن عن قدرة صاحبها على ضبط نفسه حال اليسر والعسر، وعن قدرة المحروم على حكم إرادته مع التحمل والتستره عن السؤال

خُلق الأنبياء:

ولا نعجب إذا قلنا إن خلق التعفف أو العفاف من أخلاق الأنبياء، فعن المقدام ﷺ عن رسول الله ﷺ: "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُد عَلَيْهِ السَّلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ" [رواه البخاري، الحديث ١٩٣٠]

إن هذه الإشارة إلى خلق التعفف في المال والمطعم مع ما أوتيه نبي الله داود عليه السلام من الملك والسلطان صنعت أجيالاً من المسلمين يفتحون الدنيا ولا يطمعون، أو يسألون أصحاب البلاد المفتوحة شيئاً من أموالهم وإن لم يجدوا في بعض الأحيان ما يسد رمقهم، فهم كما يقول الله تعالى ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[1]

وكأن الإسلام حين حث أصحابه على هذا الخلق إنما كان يُعدُّهم ليكونوا ملوكاً في هذه الدنيا بما يحملونه في أنفسهم من نبل وعلى.

١- من الآية ٢٧٣ من سورة البقرة

رفعة لأصحابه

وإذا كان شرف النفس في صونها عن الدنايا والمطامع وتعليق الآمال بذوي الجاه والسلطان، فالمؤمن يرتأ بنفسه أن يضعها في هذا السبيل، بل ولا يرضى أصلاً أن تعرض عليه الأموال والمناصب دون استحقاق"فالرجل الشريف لا ينبغي كيانه إلا بالطرق الشريفة فهو يؤمن بأن سقوطه رهن بمد يده إلى هذا وذاك، وأنه كلما ترفع واستعف ملك نفسه وثبت كرامته وعاش وجيهاً في الدنيا والآخرة"[1]

وقد روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: "كان أهل الجاهلية لا يُسوِّدون إلا من كانت فيه ست خصال: السخاء، والحد، والحلم، والصبر، والتواضع، والتأني، وتمامهن في الإسلام العفاف"

فالعفاف فضيلة تسمو بصاحبها عن الدنايا واللذة العاجلة إلى التحليق في أجواء المعالي والمجد الأدبي والمادي، فعن زيد بن حارثة عن النبي ﷺ: **"من ترك الدنيا بنيته يجعل الله فقره بين عينيه ويشتت عليه ضيعته ولا يأتيه منها إلا ما كُتب له ومن ترك الآخرة بنيته يجعل الله غناه في قلبه ويكفيه ضيعته وأتته الدنيا وهي راغمة"** [الطبراني في الأوسط].

وقد أشار أحد الشعراء إلى أثر تلك الفضيلة في أبيات تقول

عيري بحادثه الرخاء ... وتعره دنيا اللئام فيرغب

لم ترض لي غير المحامد ... نفسٌ يجيء بها العفاف ويذهب

والمرء ينهض في الفضائل ... ما حف محمله وعفَّ المكسب

١- الجانب العاطفي في الإسلام، ٢١١-٢١٢، بتصرف

دلني على السوق:

عن النبي ﷺ قال "مَنْ سَأَلَ مَسْأَلَةً وَهُوَ عَنْهَا غَنِيٌّ كَانَتْ شَيْنًا فِي وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[رواه أحمد، الحديث ٢١٣٨٥]

والغنى هنا تعني القدرة على الاستغناء عن الشيء، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يضربون المثل الأعلى في التعفف عما في أيدي الناس وإن عرضوه بطيب نفس، فهذا عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين يعرض عليه أخوه سعد بن الربيع من الأنصار بعد أن آخى رسول الله ﷺ بينهما أن يقاسمه روحته وداره وماله صارباً أروع مثال في الإيثار، فيقابله عبد الرحمن بأروع مثال في العفاف والتعفف ويقول له: بارك الله لك في أهلك ومالك، ولكن دلني على السوق.

وممن تصدر هذه الكلمات؟ من رجل لا يملك شيئاً من حطام الدنيا غير أن تربيته في محضن النبوة تمت في حياته معاني العفة والثقة بالله عملاً بقوله ﷺ "وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ". [رواه البخاري، الحديث ١٣٣٨]

أول الفائزين:

ولما كان في التعفف ستر الحال عن الخلق وإظهار الغنى فيكون صاحبه معاملاً له في الباطن، فحينئذ يقع له الربح بقدر صدقه في ذلك، لأن الله تعالى يحب عبده الفقير المتعفف، أي المبالغ في العفة عن السؤال مع وجود الحاجة الملجئة بصرف بصيرته عن الخلق إلى الخالق وتوجهه إلى سؤال الرزق

من الرازق وإنما يسأل إن سأل على حنية التعريض والتلويح الخفي[1] إذا اضطرته الحاجة وألجأته الظروف، ولأجل هذا العناء في كف النفس عن شهواتها المحمومة وكفاحها في ضبط رغباتها الملحة ابتغاء وجه الله تعالى استحق هؤلاء أن يكونوا أول من يدخلون الجنة، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ "أَوَّلُ ثَلاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ الشَّهِيدُ وَعَبْدٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ وَفَقِيرٌ عَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ"[رواه أحمد، الحديث ٩٨١٥]

حقيقة الورع

وأنت حين تسمع عفيف وتعفف تجد في نفسك تلازماً بين هذه الكلمات وبين الطهارة والترفع عن كل ما لا يحمل بالمرء، ويتمثل صاحب هذا الخلق قول الشاعر

إن الكريم ليخفى عنك خلقه ... حتى تراه عياً وهو محهود

فإن تفضل الناس على الإنسان وإن كان يشبع لديه حاجة إلا أنه يبقى أسير منّتهم عليه حتى يرد أو يبادهم الفضل بالفضل، وإن لم يجد أدل نفسه لهم أو أحدوا من دينه أضعاف ما أعطوه من دنياهم. وكم من أمثال هؤلاء في المصالح والشركات والمناصب أو في أي موقع من الحياة، فالنتيجة واحدة والخلاص من ذلك هو العفاف الذي يقي النفس ما يدلها في العقبى وإن عدا حلوا ممتعاً في بدايته، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني وأوجز، فقال النبي ﷺ "عليك بالإياس مما

١- فض النظر تصرف سيء

في أيدي الناس، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وإياك وما يُعتذر منه" [رواه البيهقي]

وكان لقمان الحكيم يقول "حقيقة الورع العفاف"

وليس أعون للإنسان على هذا الخلق من ثلاثة أمور، أولها معرفة فضله ومنزلته كما ذكرناها وثانيها حسن التدبير لما له وعوله على قانون الاكتفاء الذاتي فعن النبي ﷺ قال "**حسن التدبير مع العفاف خير من الغنى مع الإسراف**" [البيهقي في شعب الايمان]

وثالثها أن يعلم أن الغنى الحقيقي للمسلم وكمال عزته في استغنائه عن الناس، فعن النبي ﷺ "**شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس**" [رواه الطبراني]

كن ملكاً

بعد أن تعرفنا على هذا الخلق النبيل الذي يدل على استكمال التمسك بمعاني العزة والكرامة والتعفف، إلى الدرجة التي جعلت شاعراً مشهوراً كعنترة يفاخر ويفتخر هذا الخلق على قدم المساواة مع القوة والشجاعة فقال:

هلا سألتِ الخيل يا ابنة مالكٍ ... إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الوقيعة أني ... أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وكأن ما في العفة من معاني القوة النفسية لا يقل عن معاني القوة العضلية؛ وأحرى بالمسلم أن يكون عفيفاً متعففاً عن دنيا الناس بعد أن علمه الإسلام كيف يكون ملكاً وإن لم يملك فحقيقة السلطان وأبهة الملك، فعن محصن الخطمي عن النبي ﷺ قال: "**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى**

فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا" [رواه الترمذي، الحديث ٢٢٦٨]

واستفد من تجربة الشاعر الذي قال:

طلبت العلى في كل سبل العلى إلا سبيل التعفف

ولـيس الغنى إلا في ومأثرة تبقى ومكرمة تحيى

هيا بلي الداء. ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس

*****

العقل ينمو

يبدأ الطفل حياته بإمكانات وقدرات محدودة تجعله في أغلب تصرفاته يتحرك بالغريزة كسائر الكائنات، ولكنه لا يلبث سنوات قليلة حتى تزداد إمكاناته ويشتد عوده وتتعدد قدراته، ولكن ما يميزه عن غيره حينئذ هو مقدار ما يتعلمه ممن يحيطون به، وقدرته على استخدام عقله في فهم الأمور والتعامل معها، وحسن توظيف إمكاناته فيما يفيده وينفعه، وهذا يحتاج من المحيطين به أن يراعوا هذا النمو العقلي، وإمداده بما يناسبه من مبادئ العلوم والمعارف مثلما يراعون حاجات النمو الجسماني من أطعمة وأشربة، لأن هذا العقل هو المسئول عن تمييز المصالح من المفاسد، والحقائق من الأوهام وهو المسئول عن تسخير إمكاناتنا - مهما قلت- لتحقيق الفوائد والفلاح في الدنيا والآخرة؛ لذا يجب أن نهتم بتغذيته بالعلم النافع والمعارف المفيدة، ليكون نعم القائد إلى سبل الخيرات والوازع عن طرق الشرور والمنكرات.

لا تحنق عقلك:

بعض الناس يعتقدون أن أنواعاً معينة من العلوم فقط يسعى أن تُدرس ويُبذل الوقت والعمر في تحصيلها والتوسع فيها. وأما سائر العلوم فتصير بعدئذ هامشية لا ضرر في الجهل بها، وهذا فهم قاصر بعيد عن روح الإسلام وسادئه، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال "مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ" [رواه الترمذي، الحديث ٢٨٥٨] فكلمة علم جاءت نكرة و لم تحدد أهو علم شرعي محض أو دنيوي، لكن السياق واضح في كونه علماً نافعاً للإنسان ولحياته على اختلاف صورها "فالعلم الذي يقبل المسلم عليه ويجتهد في تحصيله ويرحل في طلبه إلى أقاصي الأرض ليس علماً معيناً محدود البداية والنهاية، فكل ما يوسع آفاق الفرد ونظرته إلى الحياة، ويريح ستائر الجهل من أمام أعينا ويوثق صلة الإنسان بربه ويتيح له السيادة في العالم والتحكم في قواه والإفادة من ذخائره المكنونة، فهو علم يسعى التطلع إليه"[1] والتمكن فيه بلا أدنى حرج أو تهوين لأهميته، فإن كل العلوم تصب في معين واحد هو فهم الحياة والكون، وللمتدبر فيهما طريق للاهتداء إلى الله ﷻ، يقول الله ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾[2] ولمثل هذه المعاني أشار الشاعر حين قال.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

١- خلق المسلم ص٢٢٢ بتصرف

٢- الآية ٢٢ من سورة الروم

أول الأوامر

ولما كان في العلم دليل على وجود الله وفي تعميق الإيمان به في صدور الناس كانت أول الأوامر إلى أمة الإسلام هي القراءة، لما تعنيها من علم ومعرفة وثقافة، قال الله ﷻ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[3]

وهذا التكرار للفعل "اقرأ" مما فيه من صيغة الأمر، ثم بالعطف إلى دور القلم في اكتساب العلوم وتحصيلها لفيه دلالة -لا تخفى- على قيمة العلم والتعلم لأمة يريد لها الله أستاذية العالم وإخراجه من الحيرة والضلال إلى اليقين والهدى، وهذا لن يكون في أمة يستجود الجمود والتخلف على أفرادها أو أمة وقفت في ثقافتها وعلمها عند حد لا تتعداه، فقد جرت العادة على أن تستلهم الأمم والشعوب المعاني والأفكار ممن سبر وبرع لا ممن تأخر وتبلد، فإن الإسلام لن يقدم لهذه الشعوب صلاح الروح ثم ينأى بنفسه عن صلاح المادة والحياة والكون التي لا يصلح لها إلا أصحاب العقول المستنيرة بأنوار العلم والثقافة ومستحدثات التكنولوجيا، وهذا ما أدركه الشاعر الخصيف فقال

هل رأيتم أمة في جهلها ... طهرت في المجد حسناء الرداء

فالعلم هو أول خطوة في سناء أمة تريد لنفسها التقدم والكرامة

٣- الآيات ١-٥ من سورة العلق

نحن أمة العلم:

لقد أمرنا الله بالتعلم وجعل القراءة من أهم وسائله كما أوضح دور القلم في العلم والتعلم، فلولا الكتابة والقراءة ما تقدم البشر ولا ارتقت لهم حضارة، إذ كما يستحيل أحدث ما وصل إليه ثم يأتي جيل ليأخذ خلاصة هذه المعارف والمعلومات والخبرات ليبني عليها، وفي هذا دلالة واضحة على أثرها في رقي الأمة وهو خطوتها الأولى لبناء حاضر سعيد ومستقبل أفضل، وهذا شاعر اتضح له فضل العلم وعاقبة الجهل فقال

العلم يرفع بيوتًا لا عماد له ... والجهل يهدم بيت العز والشرف

وهذا ما جعل الإسلام يُرغب أفراده في الاستزادة من العلم إلى غير حد، قال الله ﷻ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1]

وقد قيل لعبد الله بن المبارك إلى متى تطلب العلم؟ قال حتى الممات إن شاء الله

وسئل سفيان بن عيينة من أحوج الناس إلى العلم؟ قال أعلمهم لأن الخطأ منه أقبح

في الإنصات:

وفي عصرنا تطورت وسائل العلم والتعلم إلى درجة كبيرة بحيث صار التعلم أمراً سهلاً وميسوراً للراغبين حيث فتحت فصول محو الأمية وتعليم الكبار والبرامج التعليمية التلفازية والإذاعية والأقراص المدمجة التي تعمل على الحاسوب وغيرها من الأدوات والوسائل التي أتتحتها التقنية الحديثة، ويبقى

١- من الآية ١١٤ من سورة طه

أكثرها توافراً وأبسطها استخداماً وأوسعها انتشاراً ألا وهي شرائط الكاسيت، فهي متاحة للجميع بأسعار رهيدة ومنها ما هو سلاسل محاضرات في الفقه والسيرة والحديث أو في تعلم صيانة الأجهزة أو تعليم مهارات معينة، وبذلك يستطيع المسلم باستخدام حاسة السمع وحدها أن يتعلم الكثير مما ينفع به نفسه وأمته، وأن يرشد غيره إلى الاستفادة من هذه الوسيلة في الخير

عالم ومتعلم.

إن التعلم والتعليم روح الإسلام، والناس في نظر الإسلام أحد رجلين: إما متعلم يطلب الرشد، وإما عالم يطلب المزيد، وليس بعد ذلك من يؤبه له، قال رسول الله ﷺ "**الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّم شَرِيكَانِ فِي الْخَيْرِ وَلا خَيْرَ فِي سَائِرِ النَّاسِ بَعْدُ**"[رواه ابن ماجة، الحديث ٢٢٨][1]، فمن شاء أن يكون له سهم في الارتقاء بقيمة نفسه وأمته فليكن له حظ من العلم، وليتزود بقدر ما تسمح له إمكاناته وقدراته وأول طريقه إلى ذلك أن يخصص وقتاً يومياً للقراءة والاطلاع يبنى به شخصيته على أساس متين ويدرك به رسالته في الحياة، ويسعى من خلالها لتوصيل رسالة الإسلام على بيِّنة ووضوح، وأن يخصص وقتاً للاستماع إلى شريط أو ما يناسبه من الوسائل السمعية أو البصرية أو التي تجمع بينهما ويحث غيره على الاستفادة منها أو يجعلهم يشاركونه الاستفادة، فإن في تعليم الآخرين وإرشادهم أجر كبير، فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ عن النبي ﷺ قال: "**إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**

١- حلق المسلم ص٢٢٧

حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ"[رواه الترمذي، الحديث ٢٩٠١].

*****

هنيئًا بما صبرتم

علم المؤمن بعضًا مما أعده الله للمؤمنين والمؤمنات في الجنة، فلا يقل منه إذا سُئل هل في الجنة كذا أو كذا من ألوان النعيم، مما قد يعجب منه، أو يقول لا أعرف فالله سبحانه جسم هذه القضية بقوله عز وجل. ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]. وإن كل ما يخطر ببالك أو لم يخطر من النعيم متحقق فيها بانتظاره، ففي الحديث القدسي "أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ"[رواه البخاري، الحديث ٣٠٠٥]. وإذا كانت الدنيا قد امتلأت بالمتع واللذائذ والشهوات المحدودة المؤقتة، فالله سبحانه أعد أصنافًا وأشكالاً وألوانًا من النعيم الدائم الذي لا يمل ولا ينقطع.

تنتظرك الحور:

يدخل المؤمن الجنة ليجد بانتظاره أجمل وأحلى وأرق نساء خلقهن الله، إنهن حواري الحور، أما الحورية بينهن فتلك درة التاج وفريدة العقد ما تستطيع الكلمات وصفها غير أنها الأجمل والأروع، يقول الله تعالى:

١- من الآية ٧١ من سورة الزخرف

﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[1]. وهم أيضا ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[2].قد تخبرت لاستقباله بأجمل الحلل، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ "لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ زَوْجَتَانِ مِنْ حُورِ الْعِينِ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ الثِّيَابِ"[رواه أحمد، الحديث ٨١٨٦] وهي تنتظر روحها بغاية التشوف والتشوق، فعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال "لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ لا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللَّهُ فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا" [رواه الترمذي، الحديث ١٠٥٤] يعين له بأعذب الكلمات على أطرب النغمات وبأجمل أصوات خلقها الله في حور من السرور والبهجة، يقول الله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾[3] أي يسرون ويتنعمون، والحبرة عند العرب السرور والفرح، وقال الإمام الأوزاعي ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ إذا أخذ أهل الجنة في السماع لم تبق شجرة في الجنة إلا رددت الغناء، ولم تبق جارية من حوار الحور العين إلا غنت بأغانيها والطير بألحانها[4]

وهذا لمن دفع المهر في الدنيا ركعات في الأسحار، وبر بالفقراء الضعفاء، وتعفف عن الحرمات

كوني أكثر إمهارًا.

نعم الحور أجمل النساء، ولكن المرأة الصالحة المتعففة بإيمانها وصبرها

١- الآية ٥٨ من سورة الرحمن

٢- الآية ٢٣ من سورة الواقعة

٣- الآية ١٥ من سورة الروم

٤- تفسير القرطبي

وطاعتها لزوجها تتفوق عليها وتعلوها جمالاً ورفعة، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قول الله ﴿عُرُباً أَتْرَاباً﴾ قال "هن اللواتي قصر في دار الدنيا عجائز رُمصًا شمطًا خلقهن الله بعد الكبر فجعلن عذارى عربًا، أي متعشقات متحببات، أترابًا على ميلاد واحد". قلت يا رسول الله، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال "بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة" قلت. يا رسول الله، وبم ذلك؟ قال "بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن لله تعالى ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي محامرهن الدرّ وامشاطهن الذهب"[1] [رواه الطبراني]

طعام وشراب مختلف

من بين أدعية الطعام المأثورة التي نقولها قبل تناول الطعام "بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا" [رواه أحمد من الحديث ١٢٤٤] علمنا ذلك رسولنا ﷺ بوحي من الله العليم رغم أن ما يأكله في بعض الأحيان يكون من ألذ المأكولات وأشهى المطعومات، ولكن النبي ﷺ يتنبهنا في لطف أن ما أعده الله لنا في الجنة أفضل وأشهى بكثير، فتطل النفوس معلقة بالجنة ولا مقارنة، لأن ما يأكله في الدنيا -مهما بدا حلوًا- مجرد أسماء، هذا إن خلا من الملوثات، أما في الآخرة فتلك تحق المسميات، يقول الله ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[2] نعم إنها الحياة الحقيقية والنعيم الأبدي، فحقيقة المتع

---

١ - قال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف

٢- من الآية ٦٤ من سورة العنكبوت

واللذائذ والمشتهيات في الجنة، يقول الله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]

أما الشراب، فما أحلاه يطوف به الولدان المخلدون، يقول تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[2] وهي ليست كؤوسًا ممتلئة فحسب، وإنما يقول الله: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[3].

ما يخطر ببال المؤمن في الجنة لون من الطعام أو الشراب إلا وجده بين يديه، يقول الله ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾[4] حتى إذا أعجبه طير يحلق في الهواء نزل مطهوًّا أمام عينيه فإذا انتهى من طعامه عاد الطير كما كان يرفرف ويعرد من حوله

هذا لمن عفَّ عن أكل الحرام في الدنيا، واكتفى بما أحل الله من الطيبات وإنها لكثيرة

أسواق للحسن وللجمال

يدخل أهل الجنة الجنة بفضل طاعتهم لربهم على صورة القمر ليلة البدر أو كأصوأ كوكب دري، ومع جمال هذه الصورة وبهائها إلا أن الله يريدهم من فضله، يقول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[5] ومن تلك

١- الآية ٧١ من سورة الزخرف

٢- الآيتان ٢٥،٢٦ من سورة المطففين

٣- من الآية ١٥ من سورة محمد

٤- الآية ١٤ من سورة الإنسان

٥- من الآية ٢٦ من سورة يونس

الزيادة زيادة حسنهم وجمالهم، فعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال. "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالاً فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالاً فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً" [رواه مسلم الحديث ٦١ ٥].

ولكن كيف حال الروحات، هل يبقين بنفس درجة الحسن والجمال؟ كلا، ففي بقية الحديث أنهم يردون عليهم. "فَيَقُولُونَ وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً" فلا ملل في الجنة من شيء، فالتجديد والابتكار دائم، والله تعالى يقول: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[1] فنعيم الجنة يزداد على الدوام

متعة النظر إلى الخلاق:

لكل عطاء فرحة، ولكل نعيم بهجة، وأعظم نعيم أهل الجنة الذين عبدوه في الدنيا واشتاقوا إليه وغضوا أبصارهم عن محارمه هو لذة النظر إلى الله تبارك وتعالى، فعن صهيب، عن النبي ﷺ قال "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ" [رواه مسلم، من الحديث ٢٦٦].

والآن:

١- الآية ٣٥ من سوره ق

إن للجنة أهل تجهزت لهم فاحرص أن تكون من أهلها، ولا تكن ممن يترك العالي للرخيص، ويقدم الفاني على الباقي، لأجل شهوات مهما طالت فهي قصيرة، ومهما عظمت لابد أن تفارقها، وكن ممن يتجهز للجنة فإن النبي ﷺ كان يحث أصحابه على ذلك فعن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ قال "ألا مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لا خَطَرَ لَهَا هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلأْلأُ وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ وَنَهرٌ مُطَّرِدٌ وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ فِي دُورٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ قَالُوا نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ قُولُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ ذَكَرَ الْجِهَادَ وَحَضَّ عَلَيْهِ" [رواه ابن ماجة، الحديث ٤٣٢٣]

*****